على غير موعد غادر مؤيد

فاطمة المحسن

لاأدري مالذي أضعته من بغداد عندما رأيتها بعد فراق طويل. أشياء كثيرة ومستحيلة ولن يكون بمقدوري تعدادها، أعرف هذا ببساطة، ولكن موعد اللقاء بمؤيد لن يفوتني عند عودتي الثانية. هذا ما كنت أقوله لنفسي. لم أسأل مها البياتي عن أحواله، كنت على عجلة من أمري، وغير مصدقة هذه العودة التي تشبه الكذب. هكذا كان يقول السوريون عن موت الأحبة: شي متل الكذب.

مؤيد الذي يرسم بثلاثة خطوط صورة لشخصية تحاورني في تلك الغرفة الواسعة، غرفة "حياة الشعب". المرأة تحكي بجدية وتساومني، وأنا اغص بضحكي المكتوم،غير عابئة بغضبها، فقد رفع الصورة أمامي ومن وراء ظهرها،فازال جدار الإحتقان عن ناظري.

كم من المرات رسم مؤيد الاصدقاء في أوضاع مضحكة، وكم من المرات تدفقت النكتة على لسانه بهدوء وعلى غير إتفاق، فقد كان يختزن الضحك لأصعب الساعات. وعندما حوصرت "طريق الشعب"، جمعتنا الحافلة التي تمر ببيتهم كل يوم،فقد كنا نخاف إصطيادنا فرادى. ولأول مرة كنت أشاهد خطوط الهم تتجمع على جبينه، فوجهه الطفولي والهدوء المرتسم على محياه لايوحيان بتوتر تلك الأيام، ولكنه ودعني آخر مرة، فشد على يدي. كدت أضحك من هذه الدعابة، فما إعتدت مؤيد على هذه الدرجة من الجدية.

مرات كنت أسال نفسي عمن نكون نحن في هذا العراق الذي نراه دائما من وراء حجب الدخان،يعمي عيوننا ولا نعرف هل نبكيه ام نبكي ضياعنا. مرات كنت أقول ان كل الذين تصاحبوا ذات برهة في تلك الغرفة المشمسة في طريق الشعب، سيمضون مثلما مضى مؤيد بغتة. يختفون، يذوبون، مثل تواريخهم التي لاتعني غيرهم. مثل كتاباتهم،مثل رسومهم واحاديثهم وحكاياتهم الصغيرة والكبيرة. مرات كنت أرى في كوابيسي العراق وهو يقهقه على ضفة أخرى من هذا العالم، وأنكر وقوفه على الهاوية.

مؤيد نعمة،بقي وحيدا عندما هاجر صحبه، وأقفرت أماكنه الاولى، وأضحى فنه الذي يحمل بين منطوياته سيف النقد الرهيف، قاب قوسين من الهزيمة. إختفى مؤيد ثم ظهر، ومن البعاد كنت ألمح أول خطوطه وهي تعود إلى الصحف العراقية. كان القمع مثل الموجة العاتية، ولكن مؤيد بقي حذرا يمرر ألاعيبه على الظاهرات الصغيرة، بل يمرر بصماته الجريئة حيثما يجد المنفذ إلى عمق الاشياء. كانت تلك الرسوم أشبه بتحايا تأتينا من بعيد، وبقلوب واجفة،كنا نرمق شجرة الصداقة المزهرة وهي تجد لها جذورا في الداخل.كان يقاوم تصحر الروح بابتسامة الكاركتير مثل تعويذة يرفعها بوجه الوحش. أعماله تحمل لنا إرتسامات شجاعته: رشيقة ومخاتلة، وتفيض برهافة الروح وفطنة القلب وطفولته.

وفي تتابع أعداد "المدى"، التي رأيناه يعود لإحتلال زاوية فيها، لم يتغير كثيرا، كأنه ماغادر طاولته الاولى التي تقع في الزاوية اليمنى من غرفة الطابق الأرضي لمبنى الجريدة في السعدون. البناية إختفت، والصحب تفرقوا، ومها الرشيقة التي كانت تزوره بشعرها المتناثر على الأكتاف، أول من التقيناها عند العودة.

كان مؤيد مثل بنايتنا في السعدون قد إختفي من المكان، ولكن مها التي إختفت وراء حجابها، كانت إمراة أخرى،قوضت سنوات القحط والحروب بريق إطلالتها وابقت لها خوفا مقيما في العينين.

صمت السنوات التي لم تطلق ريشته عنان فصاحتها، فتوضحت أشكاله بضربات واثقة،حادة وقاطعة، ولكنها تخرج من محترف فنان نضجت أدواته. اضافت السنوات اليه مهارات تدوير ايقاع السخرية ونحت الجوانب الناتئة في فن التهكم،فمهنة الضحك عصية على مقاسات بلد مثل العراق.

بقي مؤيد مثلما كان في "طريق الشعب"، في موقع العابر للتصنيف، فالكاركتير فن ديمقراطي بالضرورة، وهو يحاكي عالما مدينيا متحركا لا يحصر بين جدران الأحزاب والمؤسسات العقائدية.

مؤيد نعمة وجيله من فناني الكاركتير، يشخصون قيمة مهمة في عراق جبل على قمع الاعتراض، فليس مثل الكاركتير مادة تجعل من الصحافة مطواعة،تتحمل مسؤولية المثابرة على الكشف بالتلميح والتصريح. ولعل صحافة صدام وعدي التي ظنت بنفسها القدرة على إقتلاع شجرة الاعتراض من رأس العراقيين، كان فن الكاركتير وحده القادر على تكذيب خبرها، مؤيد في زاويته المستعادة من خلال جريدة "المدى" بدا وكأنه يحاول الإنتقام من سنوات الرعب والعذاب،من الطاغية الذي إقتاد العراق إلى الهاوية. وما أدراه فداحة الأثمان التي يدفعها كل من عض على الانجاذ طوال تلك الفترة،خوفا وكراهية ورفضا.

مؤيد في جريدة "المدى" بدا نضرا متألقا، قادرا على التحكم بشخصياته من وراء مسرح رحب. مخلوقات الضحك التي يطلقها من بين جوانحه بدأت تستعيد ألفتها مع فسحة الحرية المسورة بالتهديد، ولعلها مفارقة حاول تجاهلها أول الامر، مثل كذبة لايستطيع تصديقها، ولكنها لم تمنعه من المضي في دربه.

المديات التي قطعها في هذا الفن أحكمت مرونة خطوطه،فقد إختزن فقد استطاع محترفوه النفاذ إلى الزوايا الرخوة في هذا النظام، فنشأ جيل كان بمقدوره ملامسة حس الاعتراض عبر لغة تلقط قفشاتها من مادة الحياة: شحة البيض والدجاج انتشار الفساد والرشوة، نهوض سلطة الطفيليين والدلالات.

أية سعادة كنا نشعر بها ونحن نقرأ رسائل مؤيد الساخرة وهي تنفذ من بين بوابات السجن الكبير، لتخاطب العراقيين الذين سرقت منهم الضحكات مابين حروب الداخل والخارج.علينا ان نتخيل والحالة هذه الساعات التي ضبط فيها مؤيد إيقاع رسومه كي يعيش وعائلته،وكي لايهادن او يسمح لنفسه بإهانة فنه وإنسانيته.وما أفدح الثمن الذي دفعه من روحه وأعصابه.

بفقدان مؤيد نعمة فقد فن الكاركتير أحد صنّاعه المهمين في العراق.

ولكن اية سلوى لنا نحن الاصدقاء الذين ظننا ان هناك فسحة من الأمل كي نقول أن مؤيد هو الذي ضحك أخيرا.

أبرز فناني المدرسة التجريدية الحديثة في أوربا

لوكاشويسكي : موسيقى من ألوان الحرية

وارد بدر السالم

يُعد الفنان الألماني "رولف لوكاشويسكي" الذي يحمل لقب أعظم رسامي تجسيد الحرب واحداً من أبرز فناني المدرسة التجريدية الحديثة الأوروبية.كما هو حال طبيعة الفنانين ذوي التفكير المتحرر والغارقين في التجريب والتحديث الفنيين ، الساعين لبلوغ مرتبة متقدمة في تأطير تجاربهم الفنية بتجريد تجريبي خاص به ، منطلقاً من الواقع الإجتماعي ومن مفردات محددة من الطبيعة لها سمة جمالية ، حاول أن ينوع عليها بمهارة فنان محترف.. ويعد هذا الفنان مدرسة تجريدية خاصة تتحدى الواقع ولا تسايره، رغم بعض من لمحات القالب الجمالي اللونيِ الذي تتسم به لوحاته.. ويعترف لوكاشويسكي بتأثره الكبير بالفنانين الألمانيين: أوتا ديكس وماكس باكمان، فبعد أن ولد بمدينة شلوسنغ الألمانية عام ١٩٤٧ كانت الحركة الفنية التجريدية قد أخذت بالاتساع والتأثير الواضح بشتى مدارس العالم الفنية.

وكان لوكاشويسكي أحد أبناء تلك المدرسة الذي ظهرت منذ البداية بصمته الخاصة فيها. وحين نطالع حياة الفنان الفنية؛ نجده ينهي تعليمه في مجال الفن بمدرسة الفنون بمدينة "كولون" بدرجة الشرف، وكان له ظهور لامع في العديد من معارض العالم، وصادف عام ١٩٧٥ بيع أول لوحاته ، ليتواصل بعد ذلك في إقامة معارضه الفنية بنيويورك وباريس وبرلين والنرويج.

وفي عام ١٩٩٣ انتقل لوكاشويسكي من ألمانيا ليستقر على شاطئ مدينة جنيف السويسرية، حيث اتجه حينها إلى رسم العديد من الشخصيات الشهيرة: جيمس دين، مارلين دايتريش، مارلين مونرو، والمستشار الألماني هلموت كول، والعديد من الشخصيات السياسية والفنية العالمية، ومن خلال تلك اللوحات التي زاوجت بين فن البورتريه والتجريد اختط الفنان لنفسه ملامح أسلوب خاص به.

وحظي لذلك بتقدير كبير في الساحة الفنية الأوروبية، فهو في هذه اللوحات يقوم جاهداً بدمج الشخصيات المعروفة من خلال واقعها مع رؤيته الفنية التجريدية، ليظهر بعد ذلك هذا الدمج بصورة فنية راقية، وبنفس الخطى يدون لوكاشويسكي جميع الأحداث العالمية وحركات التغيير.

يحتفي لوكاشويسكي برسوماته بالطبيعة ولكن على طريقته التي تتميز بخصوصية وفرادة في الإحتفاء ، منطلقاً من أن الفن حقل تخيلي ملهم لإنتاج الشفرات الرموز ، ومهما تطرف الفنان في تجريده ، فلابد له من أن (يفتح) جزءاً من رموزه ويبقي على الأثر الواقعي متوارداً في لوحاته ، لاسيما وهو الذي لم يغادر الواقع ولا الطبيعة في هذا الحقل التخيلي الذي يُنتج الرموز لتخليق عالم موازٍ الى العالم الواقعي الحقيقي. وبذلك ينزع الى تجسيد بنية رسم خلاف مع التجريدية المطلقة التي تنغلق على خواصها وشفراتها على سطح اللوحة وبالشكل الذي يشوبها الكثير من التعقيد والتأويل ؛ إلا أن لوكاشويسكي ينزع الى تراكيب تصورية مبسطة ، لكنها مزدانة ببركة ألوان قوامها الألوان الغامقة كالأزرق والأحمر والأصفر ومتفرعاتها اللونية الأخرى ، فيفصح أنه شديد العناية باللغة البصرية بتعويله على الألوان البراقة والجاذبة التي تحفل بها كل لوحاته المنطلقة من عالم التجريد المحض .

ينحت لوكاشويسكي لوحاته من مفردات متكررة : كالمراكب والأشرعة والرايات الصغيرة والورود وبالذات عباد الشمس والنخيل الذي يشبه طواحين الهواء والبحر والطبيعة الصامتة ، وكل هذه المفردات هي تراكيب ومغذيات للوحة ، توجه أسلوبه الى تناسق عضوي وموضوعي صارم لخلق الموازنة الفعلية في مجمل لوحاته باتجاه تخليق نوع تجريدي يحافظ على واقعيته ومغذياته البصرية ؛ هذا التناسق في الأسلوب هو الذي جعل لوحاته ذات معمار فني قوي ؛ تحمل بصمته وخصوصيته في رسم التراكيب الفنية الخلافية مع التيار التجريدي العام ، أي أن مزاوجته الواقعية أخذت على عاتقها تبسيط التجريدي لصالح الواقعي والإرتقاء من الواقعي المباشر الى التجريدي الرمزي الحامل لشفراته الذاتية والمستقر لصالح التجربة الفنية التي يقودها لوكاشويسكي .

لوحة هذا الفنان قائمة على المستقيمات والأقواس والمثلثات والمنحنيات النصفية والخطوط الحادة ، وهو مولع برسم الطبيعة ولا يريد مفارقتها مستثمراً عناصرها الجمالية ووحداتها البسيطة التي تترك أثرها النفسي المباشر لدى المتلقي ، لاسيما زهورالأوركيد والليليان، والمراكب الصغيرة ، بمهرجان من الألوان التي تشيع الفرح وتدعو الى الحرية ، فالفنان الذي جسد الحروب وبشاعتها قادر على أن ينتصر للجمال والحرية والربيع الإنساني الذي يراه في الوجوه والعيون ويلتقطه من الطبيعة ويبشر به ، بشكل موسيقى هائلة من الأنغام اللونية التي احتشدت في أكثر من عشرين لوحة نشرت مزهرياتها بشفافية عالية وفرح مقتنص من مرحلة ما بعد الحرب ، وعادة ما يلتقط هذا الفنان صورة البحر من زاوية نظر واحدة عبر أبواب وأقواس وشبابيك مفتوحة، أي أنه يميل الى عرض مقطع عرضي من البحر هو ما يقع على عين الناظر، وعادة ما يشاهد الناظر مركباً وشراعاً ورواية حمراء صغيرة لا يتبدل لونها إلا قليلاً، وهذه هي شفرات خطابه الفني التي لا يريد الإفصاح عنها كثيرا، فجزء من مهمة التجريدية أن تضفي على أثرها سلوكاً رمزياً قد لا نراه مباشرة.

الحدث الثقافي

موسى الخميسي/ روما

منح جائزة " ابو القاسم الشابي " للروائية الاردنية سميحة خريس

حصلت الروائية الاردنية سميحة خريس على جائزة "ابو القاسم الشابي" لعام ٢٠٠٤ في حفل اقيم في العاصمة التونسية امس الثلاثاء لتوزيع هذه الجوائز التي يقدمها البنك المركزي التونسي منذ ١٩٨٦,

ونالت سميحة خريس الجائزة عن روايتها "دفاتر الطوفان" التي صدرت باللغة العربية عام ٢٠٠٣ في طبعتين الاولى اردنية والثانية عن الدار المصرية اللبنانية في القاهرة.

وقالت اللجنة ان خريس منحت الجائزة لما تميزت به الرواية من "طرافة وابتكار وذكاء" ونجاحها في "احياء الاشياء الجامدة التي جعلتها تنطق وتعبر كما تتكلم الشخصيات الانسانية".

كما نوهت لجنة التحكيم بالرواية التي "تعطى دفعا جديدا للابداع العربي عامة وفن الرواية خاصة وترتقي به إلى درجة عليا ومتميزة جدا".

وحاولت خريس في الرواية البحث في الدفاتر القديمة للعاصمة "عمان" لتقدم صورة للمدينة في الثلاثينيات وكيف تشكلت من مجموعة من التناقضات استطاعت خريس ان توظفها "لتقدم شيئا اشبه بحلم المدينة الفاضلة" حسب اللجنة.

وقالت خريس بعد تسلمها الجائزة لفرانس برس ان الرواية تعكس "قلقي الشخصي وبالتالي قلق كل مثقف ومخاوفه عن المدينة وعن الهوية ومن المستقبل القادم".

واشارت إلى ان "اهمية الجائزة تكمن في انها تحمل اسم شاعر تونسي فذ" وتاتي "في هذه الفترة التي تنقلب فيها القيم الفكرية والثقافية".

وحيت خريس "اهتمام رؤوس الاموال التونسية بالرؤوس الادبية" ودعت إلى "الرجوع إلى المقاييس التي وضعها الشابي الذي تعلم على يديه جيل من المثقفين كيف تطرق ابواب الحرية".

واشارت سميحة خريس التي تعتبر من رواد التجارب السردية الاردنية إلى ان "السرد هو فن المرأة بامتياز (...) وقد اثبتت المرأة قدرتها على اختراق هذا المجال اكثر من المجالات الاخرى لان الرواية فصلت على مقاسها".

ومن بين اعمال الكاتبة "شجرة الفهود" (١٩٩٧) التي نالت الميدالية الذهبية لمهرجان القاهرة للاعمال الدرامية و"رحلتي" (١٩٨٠) و"المد" (١٩٩٠) و"تقاسيم الحياة" (١٩٩٥) و"القرمية" (١٩٩٩) و"الخشخاش" (٢٠٠٠) و"الصحن" (٢٠٠٣).

وشارك في المسابقة على نيل هذه الجائزة ٤٧ اديبا من تونس والاردن والعراق وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية والامارات العربية المتحدة والكويت وسلطنة عمان وليبيا واليمن والمغرب والسودان ومصر.

وتمنح الجائزة سنويا للقصة او الشعر او المسرح او الرواية تكريما للشاعر التونسي (ابو القاسم الشابي) الذي رحل عن العالم وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين.

ونشرت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم "الالكسو" في ٢٠٠٤ بمناسبة مرور سبعين عاما على وفاته مختارات من ديوانه "اغاني الحياة" تكريما له و"تاكيدا على مكانته كشاعر طاول الزمن وفرض حضوره على مدى الاحقاب الممتدة لما تميز به شعره من مقومات البقاء والقدرة على التجدد والتواصل مع الانسانية".

ومن اشهر ابيات الشابي (اذا الشعب يوما اراد الحياة.. فلا بد ان يستجيب القدر).

صقلية تكرم الموسيقى العربية الصوفية بشخص الموسيقار اللبناني (نداء ابو مراد)

أصدرت مجلة الدراسات الموسيقية(آفيدي لومي) الصقلية التي يصدرها مسرح ماسيمو العريق التي تصدر باللغات الإيطالية والعربية والإنكليزية، اسطوانة مدمجة من إنشاد الموسيقار اللبناني نداء أبو مراد من مواليد تونس ,١٩٥٩

وقد تنامت فكرة هذه الاسطوانة المضغوطة في مدن باليرمو ورافينا وجبلينا خلال اجتماعات عديدة سبقتها سلسلة من الاجتهادات الفكرية في الموسيقى العربية، كانت غايتها اختيار نقطة الانطلاق المناسبة لتقديم مثل هذا النتاج المتنوع لقراء هذه المجلة الموسيقية المتخصصة بالثقافات الموسيقية العالمية.

وكان اختيار الموسيقار (نداء أبو مراد) الأكثر ملاءمة للمناسبة وذلك لانه حسب نظر المتخصصين الإيطاليين، يمثل تجربة إبداعية متأصلة في تراث الموسيقى العربية الفصحى، منفتحة ومتعمقة في السعي الروحاني على أوربا وبخاصة الموسيقى الأوربية في العصر الوسيط وعصر الباروك التي اقتبس عنها قالب الاوراتوريو.

وتتميز هذه الاسطوانة التي لقيت استحسانا كبيرا من لدن المتخصصين الموسيقيين في عموم إيطاليا وبلدان اوربا، بالتماسك في اللغة الموسيقية المعتمدة على مدى الأعمال المنتقاة مما يجعل التوليف بينها سلسا ومنطقيا بحيث تبدو مجموعة المختارات هذه وكأنها عمل جديد يختزل الأعمال المعروفة.

وتحتوي الاسطوانة" الرحلة" الصوفية التي تستوطن هذا التسجيل، إحدى اعمق الومضات الوجدانية في نتاج هذا الموسيقار المقامي، اذ تشير الآيات الروحانية البليغة لمتصوفين مسلمين ومسيحيين التي تنشدها أصوات مخضرمة تتسم بالنضج إلى جانب مواهب شابة، إلى سلوك موسيقي متميز بالإجادة.

يبدو النص الموسيقي عاريا جوهريا بعيدا عن التفخيم النغمي المألوف في عالمنا العربي في الوقت الحاضر، وذلك للتعدد الهارموني وتركيزه على الأحادية الخطية والنسيج التنويعي الهيتروفوني، فالمستمع يشعر انه بحضرة نص موسيقي ينطلق من لب الأسلوب والنهج في عصر الدمج المتسرع بين الثقافات.

اما محتويات الاسطوانة فهي:

١- وادي الطلب" سماع العاشقين" تقسيم على الكمان، شعر سامي كرم، يوحنا الصليب، ميخائيل نعيمة- مقام صبا

٢- حديث قدسي" سماع من بشارة مريم"

٣- ذكر الحبيب" عمر بن الفارض" مقام حجاز

٤- دين الحب" سماع من ذكر ليلى" محيي الدين بن عربي" مجنون ليلى"

مقام نهاوند

٥- خصوبة النفس" سماع من بشارة مريم" ايكهارت- مقام بيات

٦- العرفان" عاشقة الله" ميمونة- مقام نهاوند

٧- الحجان" عاشقة الله" - رابعة العدوية- مقام حجاز

٨- تذكير- سماع من ذكر ليلى- تقسيم كمان- مقام بيات

٩- وادي التوحيد" سماع العاشقين" سامي مكارم، يوحنا الصليب، فرانشيسكو الاسيسي- مقام بيات

١٠- مريم" سماع من بشارة مريم" ابن عربي- مقام هزام

١١- بهاء- موسيقى النهضة العربية- ارتجال تقسيم على الكمان في مقام نهاوند

١٢- وادي الفناء" سماع العاشقين" ابو منصور الحلاج" مقام نهاوند

١٣- نشيد الاناشيد" سماع من بشارة مريم" مقام سيكاه

١٤- رؤيا يوحنا" سماع من بشارة مريم" مقام سيكاه